الكتب

جنة العبيط أو أدب المقالة

تأليف الدكتور زكى نجيب محمود

تمنيت لو لم يكن هذا الـكتاب لصديق ، إذن لاستطعت أن أوفيه ما هو كفاءه له من ثناء فى غير حرج ، ولـكن فيم الحرج ، وأنا أنظر إليه بعين النقد وبعين الحب معاً فأتحدث حديث الخبير الواثق ؟

لم يعد زكى نجيب فى حاجة إلى أن يقدم إلى القراء فقد صارت له فى نفوسهم مكانة حميدة بمؤلفاته الجيدة فى الفلسفة والأدب ، وإنما أقدم كتابه هذا إلى القارىء مغتبطاً أشد الاغتباط ، فإن له لشأناً عما قريب فى أدبنا واتجاهه وفى جانب المقالة منه بوجه خاص …

رأى الدكتور زكى أن المقالة الأدبية فى مصر تسير على غير نهج معلوم ، فهى تصلح أن تكون خطبة أو موعظة أو جدلا أو بحثاً علمياً أو تاريخياً أو ما شئت غيرها ، ولـكنها ليست بسبب من المقالة التى اصطلح عليها نقدة الأدب الانجليزى فى قليل أو كثير ، وهو لم يكتب كتابه هذا ليصحح به هذا الوضع ، ولـكنه كتب مقالاته على غرار ما فهم بعد درس ، وأشهد لقد بلغ فيها جميعاً من التجويد ما لا ينزل به قط عن مستوى فحول المقالة فى الأدب الانجليزى ، ولقد جاء بعضها فى نسق لا أتردد أن أقول إنى قلما وقعت على نظائره ، خذ لذلك مثلا البرتقالة الرخيصة ، والـكبش الجريح ، وحكمة البوم ، وجنة العبيط ، وشعر مصبوغ ، وبيضة الفيل

واجتمعت له طائفة من هذه المقالات فأشرت عليه وألحفت أن يطبعها وهو يتردد ويتمال ، ولـكنى ما زلت به حتى أجابنى إلى ما أردت … اختار المؤلف اسم أحد مقالاته عنواناً لـكتابه فـكان جد موفق وهذا الاسم هو جنة العبيط « أما العبيط فهو أنا ، وأما جنتى فهى أحلام نسجتها على مر الأعوام عريشة ظليلة ، تهب فيها النسائم عليلة بليلة ، فإذا ما خطوت عنها خطوة إلى يمين أو شمال أو أمام أو وراء ، ولفحتنى الشمس بوقدتها الـكاوية عدت إلى جنتى أنعم فيها بعزلتى ، كأنما أنا الصقر الهرم ، تغفو عيناه ، فيتوهم أن بغاث الطير تخشاه ، ويفتح عينيه فإذا بغاث الطير تفرى جناحيه ، ويعود فيغفو ، لينعم فى غفوته بحلاوة غفلته ».

ولـكم نعمت أنا فى هذه الجنة وتفيأت ظلالها حتى ما أطيق أن أخرج منها ، ولـكم عدت إليها ؛ أجل كم عدت إلى هاتيك المقالات أكثر من مرة فما زدت إلا استمتاعاً بها وبأدب صاحبها ولكم أعجبت بهدوء نقمته وصدق نظرته وعمق فكرته وحلو فكاهته ورقيق سمره ، كل أولئك دون أن أحس أنه قصد إلى شىء من هذا ، وهذا هو فن الـكتاب ، وهذا هو أدب المقالة كما بينه المؤلف فى مقدمة كتابه ، ثم هذا هو سر الجمال فى هذا الـكتاب البديع . ولقد خاطب المؤلف الفاضل قارئه فى صدر كتابه بقوله « نشدتك الله لا تحـكم على قيمة هذا الـكتاب بقيمة كاتبه ، إن كاتبه ليرجو أن يكبر فى عينيك بهذا الـكتاب … نشدتك الله لا تحـكم على هذا الـكتاب بمعيار قادة الأدب فى بلادنا ؛ إنما نشرت هذا الـكتاب لأناهض به أولئك القادة فـكأنما بهذا الـكتاب أقول : من هنا الطريق يا سادة لا من هناك » .

زكى يا صديق … هات ، هات من أحلام جنتك فإنا إلى مثل هذا الأدب عطاش .

الخفيف

إخوان الصـفا[1]

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ بكلية دار العلوم

إخوان الصفا جماعة بارزة بين مفكرى الإسلام ، يعتز الباحثون بآرائهم ، وإن اختلفوا فى حقيقة أمرهم ، وقد كتبت عنهم رسائل صغار ، ومقالات قصار ، ولـكن الأستاذ عمر الدسوقى قصر كتابه هذا عليهم ، وتفرد ببحوث مفصلة عن عوامل ظهورهم ، وروافد ثقافتهم وحقيقتهم ، وناقش المرحوم أحمد زكى باشا مناقشة عنيفة فى نسبته هذه الرسائل إلى مسلمة بن قاسم الأندلسى وفى نفيه أن المجريطى ألف رسائل مثلها ، ثم كان له السبق فى تجلية آرائهم ، وجمع شتاتها ، والموازنة بينها وبين آراء من سبقهم أو جاء بعدهم من فلاسفة الشرق والغرب ، منتفعاً بدراسته العربية فى كليـة

(١) من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

دار العلوم وبثقافته الغربية في جامعة لندن ، ثم تميز ببحث قيم مبتكر عن آرائهم في التربية .

عقد المؤلف الفصل الأول لدراسة الحياة السياسية في القرن الرابع ؛ لأنهم ثمرة عوامل عدة منها الحالة السياسية « والكائن المستقل عما قبله وما بعده والذى لا يتأثر بشيء مما حوله ولا يتأثر بشيء مما سبقه أو أحاط به — لا عهـــد للعالم به حتى اليوم ، فالمصادفة محال » .

ثم عقد الفصل الثانى للحياة العقلية ، فتكلم عن السريان وأثرهم ، وعن نشأة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ، وأثر الفلسفة اليونانية فى العقل العربى ، وخلص من ذلك إلى أنهم تأثروا بالكندى فى فلسفته الطبيعية ، وبالمترجمين وآرائهم ، وبالفارابى فى إحصائه للعلوم ، حتى وضعوا رسائلهم التى تشبه دوائر المعارف بالنسبة إلى زمانهم .

ثم تتوالى الفصول بعد ذلك عن إخوان الصفا ، وزمانهم ، ومكانهم ، ونظام جماعتهم ، ومذهبهم ، وفلسفتهم ، ورأيهم فى النفس الإنسانية وفى التربية ، معروضة عرضا علمياً واضحاً مستخلصاً من رسائلهم .

ويجمل بنا أن نعرض بعض آرائهم التى استخلصها المؤلف من رسائلهم ، فهم مثلا يدينون بخلود النفس بعد أن تفارق الجسد ، ويوازن المؤلف بين رأيهم ورأى أفلاطون فى (الجمهورية) وفى (جورجياس) ، ثم بين الرأيين فى خلود كل نفس وبين رأى أرسطو فى خلود النوع الإنسانى . وهم يذهبون إلى أن البعث إنما يكون بأحوال تطرأ على النفس بعد انسلاخها من الجسد ، ويقولون بخلود العالم ، ويتساءل المؤلف : كيف يتفق هـذا الرأى المخالف للدين الإسلامى مع آيات القرآن الكريم ؟ ويورد تفسيرهم لآيات البعث تفسيراً قائماً على التأويل ، ويحكم بأن هذا تعسف وتكلف . ثم هم يذهبون إلى أن المعلم دعامة فى صرح الأمة ، وعلى الآباء أن يتخيروا لبنيهم المعلم الصالح المستنير المتحلى بفضائل عدُّوها والبرأ من رذائل أحصوها ، والمعلم كالأب له على تلميذه حقوق الأب .

وتكلموا عن التلميذ والمنهج الدراسى الملائم له وطريقة تحصيله للعلم ، واهتموا باستخدام الحواس فى التحصيل اهتماماً زائداً فى مواضع شتى ، وسبقوا برأيهم (بستالوتزى) فى عنايته باللاحظة والإدراك الحسى ، وسبقوا (هربارت) فى نظرية الاستطلاع ، وبقولهم إن قوى النفس الإنسانية متحدة مرتبط بعضها ببعض .

ثم هم يذهبون فى التربية الخلقية إلى أن الخير يجب أن يعمل حباً فى الخير ، لا رغبة فى ثواب ولا رهبة من عقاب ، لأن هذا الخير المحض هو السعادة ، ويقرر المؤلف أنهم سبقوا بهذا الرأى الفيلسوف الألمانى (كانت) الذى بنى فلسفته الأخلاقية على أن الخير يجب أن يعمل لذاته . ثم يعرض المؤلف رأيهم فى الفضيلة وتأثرهم بأرسطو فى أنها وسط بين رذيلتين .

وبعد ، فهذه لمحات أو قطفات سراع من هذا البحث الممتع القيم ، وكانت آراء إخوان الصفاء زهرات مبعثرات ، فجمعها المؤلف فى طاقة منسقة كانت هذا الكتاب ، ومن ذا الذى لا تهفو نفسه إلى أن يستمتع من هذه الطاقة بنظرات وسبحات؟

أحمد محمد الحوفى

زقاق المـــدق

(قصة للأستاذ نجيب محفوظ)

هو اللوحة الحية الرائعة التى رفعت عنها ريشة الفنان البارع الأستاذ نجيب محفوظ . وقد يعجب القارىء من ناقد يفتتح مقال نقده بهذا المديح الجارف ؛ ولكن مهما يكن الناقد مسرفاً فى تزمته ، فإنه إزاء نجيب لا يملك غير المديح المتدفق يجرى على قلمه لا يقف فى سبيله أى عارض من عوارض التوقر التى تركب النقاد. بل إنه يجد خلف هذا الاندفاع ما يشجعه على المضى فى السبيل التى يسلك حتى يريح ضميره الأدبى مما يحسه نحو هذا النابغة الفنان ... وقد أصبح الهدم فى أيامنا هذه بضاعة سهلة ، يسومها كل محاول للكتابة ... يظنون أن الشتيمة جرأة ... يا هؤلاء ! إنكم إذ تشتمون تظهرون بمظهر الجرأة حين لا جرأة لديكم ، لأن من تشتمون لا يملك أن يلحق بكم أذى . ولكنكم إن مدحتم استهدفتم لقول القوم : إنهم يتملقون . وما أجرأ من يعرض نفسه لهذه القالة ... وهأنذا أمدح ... لا عن رغبة فى إظهار جرأتى ، فلن يظن بى أحد تملقاً ... لكن رغبة فى أن يكون الحق — حتى ولو كان مديحاً — هو الحكم الوحيد الذى نخضع له ضمائرنا ... إننى أعلن فى يقين راسخ أن نجيباً أصبح فى القمة الشاهقة التى يعتليها كبار كتاب القصة المصرية .